

كلية العلوم الإسلامية
قسم الأديان مقارنة
المرحلة الثانية

المحاضرة الخامسة

طوائف مسيحية

مدرس المادة

م.م مروة مزاحم شهاب

الفصل الخامس

طوائف المسيحية

تمهيد⁽¹⁾:

من خلال ما تقدم من كلام حول (المجامع) وأثرها في مصادر المسيحية، يتبين لنا أن المسيحية قد أتت عليها فترة من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها، وهذا التوحيد كان واضحاً في دعوة آريوس عندما ظهر مقاوماً فكرة ألوهية المسيح، التي كانت تنادي بها كنيسة الأسكندرية، مما أدى إلى عقد مجمع نيقية، والذي كانت الأغلبية فيها تعتنق عقيدة التوحيد.

لذلك يمكننا أن نقسم عصور المسيحية إلى قسمين:

عصر التوحيد: ونهايته الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية، وبقيت عقيدة التوحيد تصارع فكرة ألوهية المسيح زمناً ليس قصيراً بعد مجمع نيقية.

عصر تأليه المسيح: وذلك العصر الذي يتدئ بعد مجمع نيقية، حتى إسقاط قياصرة الروم أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين، ويمنعوا الموحدين من نشر عقيدتهم.

وقد ظهرت عدة فرق كانت تحاول أن تخرج من بطش الدولة التي كانت تحمي التثليث وتأليه المسيح، وقد حاولت هذه الفرق أن تظهر عقيدة التوحيد بطرق ملتوية ومن أشهر هؤلاء:

1- مقدونيوس وجماعته: أنكر أن يكون الروح القدس إلهاً، وقال إنه مصنوع لله مخلوق له.

- 2- النسطوريون: أصحاب نسطور (بطريك القسطنطينية) الذي عارض القول بأن مريم ولدت الله، وقال أن مريم لم تلد إلا الإنسان، فهي أم الإنسان وليست أم الله.
- 3- اليعقوبيون: نسبة إلى يعقوب البراذعي، الذي إنتحل مذهب بطريك الإسكندرية القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة، وهي إلتقاء اللاهوت والناسوت في المسيح، وهي الفكرة التي رفضها مجمع خليقدونية عام (451م)، وتسبب عنها تمسك (الكنيسة المصرية برأي بطريركها، والإنفصال عن الكنيسة الرومانية⁽¹⁾).

وقد تكرر في تاريخ المسيحية حدث عظيم مشابه لما حدث لهم قبل اعتناق الرومان للمسيحية، وكان ذلك إلتجاء الجانب القوي -الذي اعتنق ألوهية المسيح- إلى أعنف وأقسى وسائل الاضطهادات والتعذيب والتنكيل والحرق والإفناء يسلطها على الجانب الذي أنكر ألوهية المسيح، والعجيب أن المسيحيين اضطهدوا من اليهود والرومان، ونزلت بهم الولايات في القرون الثلاثة الأولى، فلما بدأ جانب المؤهلين يشتد رأيانهم يتزلون نفس الولايات بمخالفهم من أبناء دينهم، والذين أنكروا ألوهية المسيح.

الكنيسة

الطوائف المسيحية

بعد مجمع نيقية، بدأ الخلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح عليه السلام، ونشأت بسبب هذه المسألة فرق وطوائف كثيرة إتخذت كل فرقة منها مذهباً خاصاً، وتشكلت هذه الآراء بداية على شكل آراء فردية لبعض رجال الكنيسة سرعان ما تحولت إلى مذاهب واتجاهات.

ومن الملاحظ أن مجمع خليقدونية كان بداية الانقسام بين المسيحيين، وأول الطوائف ظهوراً كانت فرقة (الأقباط) في مصر، والتي صارت تسمى بـ:

(1) الكنيسة القبطية⁽²⁾: وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه

عنصر الإله بعنصر الإنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، وقد أعلن ذلك بطريرك الأسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي. وبسبب ذلك الإعلان إنعقد مجمع خلقدونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية. والذين يقولون أن المسيح ذو طبيعة واحدة، ينقسمون إلى آسيويين وأفريقيين، ولكل قسم رئاسة دينية خاصة به.

فريش الآسيويين هو بطريرك السريان، ومن هؤلاء الآسيويين من اعترفوا برئاسة الكنيسة الكاثوليكية، فقبلهم وإن استمروا على رأيهم.

ورئيس الأفريقيين هو بطريرك القبط المقيم في القاهرة، ويتبعه في هذه الرئاسة سكان الحبشة (أثيوبيا) المسيحيون، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية.

2- الكنيسة المارونية⁽¹⁾: هم أتباع يوحنا مارون، وقد اشتهر يوحنا هذا برأيه سنة 667م، ودعا إليه وشايه بعض القسيسين فيه، ومعهم بعض من مسيحي آسيا، وهو أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة أو مشيئة واحدة، ومن أجل ذلك إجتمع مجمع القسطنطينية سنة 680م، وقرر حرمان مارون، ولعنه وتكفيره وكل من يذهب مذهبه.

ويظهر أن دعاة هذا المذهب لم يكونوا ذوي شوكة وقوة، ولذلك نزلت بهم إضطهادات شديدة، فلم يجدوا لهم مأمناً يعتصمون به إلا بعض المناطق في جبل لبنان، فاعتصموا بها، واستمروا على عقائدهم، حتى قربتهم إليها كنيسة روما، وأعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها، على أن يبقوا على رأيهم، وقد كان إتحادها مع كنيسة روما سنة (1182م)، وما زالت هذه الطائفة في جبل لبنان، ولها بطريرك خاص بها، وتقر بالرئاسة لبابا روما.

انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية:

وسبب هذا الانقسام يتعلق بكنيسة القسطنطينية، التي إعتقدت أن الروح

القدس من الأب وحده، لا من الأب والإبن، بينما كان رأي كنيسة روما أن الروح القدس منبثق من الأب والإبن معاً.

ومن أجل هذا عقد بابا روما مجمعاً سنة 869م أعلن فيها طرد ولعن بطريرك القسطنطينية لمقالته في أن الروح القدس إنبثق من الأب وحده، ورداً على هذا المجمع عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعاً آخر سنة (879م) تم فيه إعتناق رأي البطريرك في أن الروح القدس إنبثق من الأب فقط، وبذلك انقسمت الكنيسة إلى قسمين: أولاهما: كنيسة روما، أو الكنيسة الغربية اللاتينية، وثانيهما، كنيسة القسطنطينية، أو الكنيسة الشرقية اليونانية، فالأولى سميت بالكاثوليك، والثانية سميت بالارثوذكس.

ويبدو أن الموضوع الإعتقادي كان السبب الرئيسي للانقسام، ولكن لا يعني ذلك عدم وجود أسباب أخرى، وهو ما يتعلق بالرئاسة الدينية أو الكهنوتية، فقد كان هناك تنافس بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية حتى قبل إنقسامها بشكل رسمي، ولهذا فإن هذا التنافس قد زاد بعد الانقسام، وأصبح الصراع علنياً بين الطرفين حول الرئاسة الدينية، أهى لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة روما؟ وبناء على ذلك عقد بابا روما مجمعاً قرر فيه أن الرئيس العام للكنائس هو بابا روما، بينما قامت كنيسة القسطنطينية برفض هذا القرار عن طريق مجمع عقده، وقررت أن رئيس كنيسة القسطنطينية هو الرئيس العام للكنائس.

3- الكنيسة الكاثوليكية: الكاثوليكية كلمة لاتينية تعني (العامة)، لأنها تدعي أنها (أم الكنائس) ومعلمتها.

وقد أطلقت على الكنيسة الكاثوليكية أسماء مختلفة مثل (الكنيسة الرومانية الغربية)، و (الكنيسة البطرسية أو الرسولية)، أو (الكنيسة اللاتينية)، ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما.

وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين، وبخاصة إلى بلاد: إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال، وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان. وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية، لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو (بطرس) كبير الحواريين، ورئيسهم، والباباوات في روما خلفاؤه.

وقد لعبت الكنيسة الكاثوليكية طوال القرون الماضية دوراً هاماً في حياة أوروبا، ففي حركة التاريخ الكنسي كانت الكاثوليكية تناهض حكومات أوروبا وأحياناً تتغلب قوى الكنيسة، وأحياناً تتغلب قوة الدولة، وكان الصراع بين القوتين بين مد وجزر محل نزاع بين الأوروبيين حول من هو صاحب السلطة الأعلى؟ هل الدولة يجب أن تخضع للكنيسة، أو أنه لا بد من الفصل بينهما؟

نظام الكنيسة الكاثوليكية: والنظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام البابوي، والذي يرأسه البابا والكرادلة (جمع كاردينال)، وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجتمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، فهو يمثل الله، ويلهمه الروح القدس، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة⁽¹⁾.

وعندما يموت البابا ينتخب واحداً خلفاً له عن طريق الكرادلة، وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في إبرام قوانين لها صفة الإلزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي، وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة وعظيمة إلى درجة أنه يحدد الكتاب الذي يجوز أن يقرأ، والكتاب الذي لا يجوز لأحد أن يقرأه، ومارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد الديني ضد معارضيها، ومحاكم التفتيش جزء من هذه الحملة الكاثوليكية الشرسة على معارضهم سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين⁽²⁾.

عقائد الكاثوليك: يعتقد الكاثوليك بأن الأقانيم الثلاثة متميزة ومنفصلة، فالأب غير الإبن، والإبن غير الأب، والروح القدس غيرهما.

والعقيدة التي يتمسك بها الكاثوليك هو القانون الذي نادى به (أثناسيوس)، وهو الذي تصدى لأريوس في مجمع نيقية، وصورة هذا القانون كما يلي:

1- إن كل من ابتغى الخلاص، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي، أي الإيمان الجامع العام للمسيحية.

- 2- الإيمان الكاثوليكي، هو أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث، وثالثاً في توحيد.
- 3- لا نتمزج الأقانيم، ولا تفصل الجوهر.
- 4- إن الأب أقنوم على حدة، والإبن أقنوم على حدة، وللروح القدس أقنوماً آخر.
- 5- ولكن الأب والإبن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو، وجلال أبدي معاً.
- 6- الأب غير مخلوق، والإبن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.
- 7- الأب غير محدد، والإبن غير محدد، والروح القدس غير محدد.
- 8- الأب سرمد، والإبن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكن ليسوا ثلاثة سرمدين، بل سرمد واحد.
- 9- وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين، ولا ثلاثة غير محددين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدد.
- 10- وكذلك الأب ضابط الكل، والإبن ضابط الكل، والروح القدس ضابط الكل، ولكن ليسوا ضابطي الكل، بل واحد ضابط الكل.
- 11- وهكذا الأب إله، والإبن إله، والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد.
- 12- وكما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب، فإن الدين الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب.
- 13- فالأب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق ولا مولود، وكذلك الإبن وحده، وروح القدس وحده.
- 14- أب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس.
- 15- يجب أن نعبد الواحدية في ثالث، والثالث في وحدانية.
- 16- من أراد أن يلزم له الخلاص، فعليه أن يؤمن بهذا الثالث وبتجسد يسوع المسيح.
- 17- الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن يسوع المسيح إبن الله هو إله إنسان، وأنه إله من جوهر الأب ومولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر، إله تام، وإنسان تام، كائن بنفس ناطقة وجسد بشري.

- 18- والإبن مساو للأب بحسب لاهوته، ودونه الأب بحسب ناسوته، وهو وإن يكن إلهاً وإنساناً، فإنما هو مسيح واحد لا إثنان.
- 19- المسيح تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم (أي عالم الأموات) وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات، ثم صعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الرب.
- 20- ومن هنا يأتي ليدفن الأموات والأحياء، الذي عند مجيئه يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم ويؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة، فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية.
- 21- هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين⁽¹⁾.
- 22- يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر، تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة النقاوة، فهي نادرة ومطهرة يتخلص منها الخاطيء بمقدار ذنوبه⁽²⁾.

شرائع الكاثوليك:

- 1- إستعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز.
- 2- أكل الدم والمخنوق.
- 3- أكل الرهبان دهن الخنزير.
- 4- لبس الأساقفة الخواتم في أصابعهم، وحلق الكهنة لحاهم⁽³⁾.
- 5- المغفرة من حقوق الكنيسة ورجاها.
- 6- تحريم الزواج على رجال الكنيسة.
- 7- تحريم الطلاق على جميع المسيحيين، حتى عند الخيانة الزوجية⁽⁴⁾.

4- الكنيسة الأرثوذكسية: الأرثوذكسية (كلمة لاتينية) تعني: المتشددون أو المتعصبون، وتسمى كنيستهم (كنيسة الروم الأرثوذكس) أو (الكنيسة الشرقية أو اليونانية)، لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان، ومقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية في القرن التاسع الميلادي، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس⁽¹⁾. ولهذه الكنائس (بطاركة): أولهم بطريرك القسطنطينية، وهو كبيرهم، ويلقبونه بـ (البطريرك المسكوني)، يليه في المرتبة والمكانة الدينية (بطريرك الأسكندرية) للروم الأرثوذكس، ثم بطريرك (أنطاكيا)، ثم بطريرك (أورشليم)، ثم (المجمع الروسي)، ثم عدة مجامع لأسقفيات مستقلة أخرى كأسقفية (أثينا)، وأسقفية (قبرص)⁽²⁾.

ولا يعترف الأرثوذكس بالبابا في روما، وليس للأرثوذكسية مقر رئيس مثل (الكاثوليكية)، وإن كانت القسطنطينية المركز الأول لهم، وتعد الآن أثينا والأسكندرية وروسيا، مراكز رئيسية لها.

عقائد الأرثوذكس: يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ويقولون: إن الله عز وجل نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها (نطفة) ثم (علقة) ثم (مضغة) ثم أصبح جنيناً كاملاً، ثم خرج طفلاً كاملاً اسمه (عيسى) أو (يسوع)، ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة، وبعد ستين وأشهرأ قتله اليهود وصلبوه، ثم دفن في القبر ثلاثة أيام، ثم نزل إلى الجحيم وهو في القبر، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات. ويسمى (الأب) قبل التجسد، ثم (الإبن) بعد التجسد، ويسمى الروح القدس، الإسم الذي كان عليه قبل إنشاء العالم، أي أن عيسى هو (الله) خالق السماء والأرض، والله هو عيسى⁽³⁾، ويستدلون على مذهبهم هذا بقول بولس: الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى للملائكة،

كرز به بين الأمم، أو من به في العالم، رفع في المجد⁽¹⁾.

ولتوضيح ذلك يقول الأرثوذكس: إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذ جسداً حقيقياً، بنفس عاقلة ناطقة، ثم الحبل به في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء.

وقد مثل آباء الكنيسة إتحاد اللاهوت بالناسوت، بأن الإنسان مركب من جزأين أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التراب، وثانيهما النفس العاقلة الناطقة، ومع وجود هذين الشئتين واتحادهما دون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة، فاللاهوت هو الجزء البسيط، والناسوت هو الجزء الكثيف من النفس الناطقة، وباتحادهما معاً دون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة جوهراً واحداً، وطبيعة واحدة⁽²⁾.

ويمكن أن نوجز أهم الأصول الإعتقادية للأرثوذكس بما يلي:

- 1- المسيح له طبيعة واحدة، ومشئنة واحدة في أقانيمه الثلاثة، فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة الإلهية.
- 2- روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط.
- 3- أفضلية الإله الأب عن الإله الإبن.
- 4- عدم جواز أكل الدم والمخنوق، وأكل دهن الخنزير للرهبان⁽³⁾.
- 5- نظام الكنيسة الأرثوذكسية يبدأ من (البطريك) ويليه في الرتبة (المطارنة)، ثم (الأساقفة)، ثم (القسس) أصحاب الامتياز، ويسمون (القمامصة)، ثم القسس العاديون، ويسمون (القساوسة)⁽⁴⁾.
- 6- المسيح له طبيعة واحدة ومشئنة واحدة⁽⁵⁾.

7- أجازت الكنيسة الأرثوذكسية لرجال الدين الزواج بشرط أن لا يصل إلى رتبة (الأسقف).
 5- الكنيسة النسطورية⁽¹⁾: تنسب إلى (نسطور) الذي كان بطريكاً للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر.

وكان نسطور يرى أن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله، بل ولدت الإنسان فقط، ثم إتحّد ذلك الإنسان بعد ولادته، بالأقنوم الثاني وهو الإبن، وليس ذلك الإتحاد بالمزج، أو هو إتحاد حقيقي، بل كان إتحاداً مجازياً، لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الإبن.

ولما قال نسطور تلك المقالة في المسيح، كاتبه (كيرلس) بطريك الأسكندرية (ويوحنا) بطريك أنطاكية ليعدل عن رأيه، لكنه لم يستجب فانعقد مجمع أفسس سنة (431م) وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله.

ويبدو أن السبب في لعنه وطرده هو أن مقالته هذه معناها إنكار ألوهية المسيح. وقد إندثرت مقالة نسطور، فأحياها من بعده بزمان (برصوما) مطران نصيبين، وثبتها في الشرق، ولذلك تكاثرت النسطورية في العراق والموصل والجزيرة.

وفي هذا العصر أصبح النسطوريون يسمون (الكلدان) أو (الأشوريين)، ويسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما.

وقد تطور اعتقاد النسطوريين في المسيح فأصبح إعتقادهم فيه أن فيه (أقنومين) كما أن فيه طبيعتين، وقد إلتصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار منهما رؤية واحدة، وقد أدخلتهم كنيسة روما في سلطانتهم، رغم الاختلاف العقائدي بين الكنيستين.

وهذا يدل على أمرين كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة⁽²⁾:

أحدهما: أن الكنيسة الرومانية التي كانت تتشدد في القرون الخالية في طرد كل من يخالف معتقدها، قد تساهلت في هذا الزمان، فوسعت صدرها للمخالفين لها، وتأولت لهم، لتدخلهم في حظيرتها.

ثانيهما: أن النسطوريين قد انحرفوا عن مبادئ نسطور، لأن نسطور لا يرى أن الأقنوم الثاني مازج المسيح قط، بل هو يرى أن بنوة المسيح بالموهبة والمحبة، لا بالحقيقة، كما أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الإلهي خلواً تاماً، وكان يقول بأن مريم ولدت الإنسان فقط، بينما أتباعه قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت، وبذلك انحرفوا عن مقالة نسطور.

ومن تقاليدهم أن أساقفتهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وذلك منذ سنة 1830م.

6- الكنيسة السريانية: وهم طوائف من المسيحيين الآسيويين يقولون: أن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصر) لكنهم يعترفون برئاسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم، وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم، وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسية لهم⁽¹⁾.

7- الكنيسة الأرمنية: وهم طائفة مسيحية موطنهم الأصلي (أرمينيا)، وإن كانوا ينتشرون كأقليات صغيرة متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان، ويعتقدون في المسيح إعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشية واحدة. ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة، كما أن لهم بطاركة مستقلين بهم، لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى⁽²⁾.

8- الكنيسة البروتستنتية أو حركة الإصلاح الديني: تمهيد⁽³⁾.

حالة المسيحية في الغرب لم تقنع العقل الإنساني بصدق تعاليمها، فشر الشباب الواعي ببعد تعاليم الكنيسة عن طبيعة الإنسانية، فقامت عدة دعوات للإصلاح تريد أن تعدل تعاليم الكنيسة حتى تكون مقنعة للعقل الإنساني.

وقد قامت حركة الإصلاح هذه من خلال إنجهاين: الأول جاء من رجال الكنيسة نفسها، والثاني من خارج رجال الكنيسة.

والحديث عن حالة الكنيسة يستلزم توضيح النقاط التالية:

1- علاقة الكنيسة بالمجتمع وتشمل:

أ- علاقة الكنيسة بالرعية والعلماء: بالغت الكنيسة في فرض تعاليمها على الشعب والعلماء، فلم تسلك لذلك طريق الوعظ والإرشاد، بل سلكت سبيل القهر والعنف والتسلط، فحرمت كل رأي يخالف رأيها، واستتبع ذلك تحريم الأبحاث الطبيعية العلمية، وأصدرت فتاوى التكفير لكل عالم يبحث في مسائل الطبيعة والمعرفة، بل تجاوزت ذلك إلى الحكم بإحراق من يأتي فعلاً من الأفعال التي حرمتها.

فالجمع الثاني عشر المنعقد عام 1215م يقرر: إستتصال كل من يرى رأياً يخالف رأي الكنيسة ولو كان في العلوم الطبيعية، بل إن الكنيسة راحت تفتش عن العلماء الذين يبحثون في هذه المسائل وتتجسس عليهم، وشكلت لذلك نظام محاكمة عرف في التاريخ بـ (محاكم التفتيش)، ومن الذين قدموا لهذه المحاكم واضطهدتهم: (جاليلو) الفلكي الإيطالي، و(إتين دوليه) الكاتب والناشر الفرنسي، وغيرهما كثير ممن ذهبوا ضحية تعاليم الكنيسة.

ب- علاقة الكنيسة بالحكام والملوك: فرضت الكنيسة أوامرها على الملوك والأمراء -كما فرضتها على سائر الناس- فأصدرت قرارات الحرمان واللعن والطردهم.

2- سلوك الكنيسة ذاتها:

أ- الإتاوات: فرضت الكنيسة إتاوات على كل فرد مسيحي طيب السلوك أو سيئ السلوك، وقد استخدموا أساليب غير مهذبة في جمع هذا المال، وقد كان في روما ستة عشر ألفاً من النساء العاهرات اللاتي يستخدمن أعراضهن في الحصول على المال، وقد اعتبرتهن الكنيسة مورداً مالياً لخزانة الكنيسة، وفرضت عليهن الضرائب.

ب- التحكم في تفسير الإنجيل: إستحوذت الكنيسة على أحقية تفسير الإنجيل، وإصدار الفتاوى، ومنعت العقل وحجرت عليه من التفكير، بل طالبت بإلغائه

كلية العلوم الإسلامية
قسم الأديان مقارنة
المرحلة الثانية

المحاضرة الثالثة
شعائر المسيحية

مدرس المادة
م.م مروة مزاحم شهاب

الخاتمة الثالثة

المبحث الثاني شعائر المسيحية

للمسيحية شعائر يجب القيام بها، لا يصح التخلي عنها، ويقولون فيها أنها فرائض مقدسة وضعها المسيح، وهي أعمال حسية تشير إلى بركات روحية غير منظورة عندهم⁽¹⁾.

والشعائر المسيحية لا تسمو إلى مكانة العقائد المسيحية، فالعقائد أساس لدخول المسيحية، ويدون الإيمان بها لا يكون الإنسان مسيحياً، أما الشعائر فإنها لازمة، وعلى المسيحي أن يقوم بها، ولكن الشخص على كل حال يعتبر مسيحياً قبل أن يقوم بها مادام قد اعتنق العقائد السابقة⁽²⁾.

وهذه الشعائر مصدرها الكنيسة، فهي ما تقوم به من طقوس وإجراءات، لأن الكنيسة في مفهوم المسيحيين هي المسيح نفسه، إنها جسده ولحمه ودمه إستناداً إلى ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان المسيح: الحق أقول لكم إن لم تاكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيم في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه⁽³⁾.

فالمسيحيون بهذا النص هم من جسد المسيح، الذي في اعتقادهم هو ابن الله، ومادامت عملية الفداء من قبله قد تمت لحساب الكنيسة، فهي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه.

ومن أهم شعائر المسيحية: **العميد**: وقد اتفقت جميع الفرق المسيحية على ضرورته⁽¹⁾، وكان التعميد موجوداً عند اليهود، ولكنه كان بمفهوم آخر هو غسل الجسد، وكان النبي يحيى عليه السلام يعمد الناس في نهر الأردن، أي يغسل أجسادهم، ولذلك يسمى (يوحنا المعمدان (أي يحيى المفسل)⁽²⁾).

والمعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن والروح القدس، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام كنيسة الله⁽³⁾.

وقد استدل النصارى على وجوب التعميد بنص منسوب إلى المسيح في الإنجيل متى: فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به⁽⁴⁾. وهذه الوصية جاءت منه بعد حادثة الصلب.

ومقصود التعميد في المسيحية يغاير مفهومه في اليهودية، ويعتقدون أنها ختم عهد النعمة وسرها كما كان الختان في الشريعة الموسوية، وأنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس وتلدها ثانية، وتعطي صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير⁽⁵⁾.

وقت التعميد⁽⁶⁾:

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد: من ذلك

أ- فبعضهم يعمد الشخص في طفولته، حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأ من الذنوب، وهذا هو الغالب.

ب- وبعضهم يعمده في أي وقت من حياته.

ج- والبعض الآخر يرى أن التعميد يجري والشخص على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب، وهذا ما حدث بالنسبة إلى قسطنطين إمبراطور الرومان، فقد عمّد وهو على فراش الموت.

طريقة التعميد: هو ما قاله الحفل في راية معية

وتكون برش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، والغالب أن يغمس الشخص كله في الماء، وكل ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص المسيحي باسم الأب والإبن والروح القدس، أما في حالات الضرورة فيجوز أن يقوم بالتعميد غير الكهنة ويسمى (تعميد الضرورة).

وكنيسة الأقباط بمصر تلزم أن يكون التعميد بالتغطيس ثلاث مرات: المرة الأولى باسم الأب، والثانية باسم الإبن، والثالثة باسم الروح القدس، ولا تجيز التعميد بالرش إلا للضرورة.

وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يوحنا، صنعوا بئراً أو بركة صغيرة في كل كنيسة على غرار نهر الأردن، الذي كان يعمد يوحنا الناس فيه، وملأوا البركة بالماء، فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره، سواء كان طفلاً حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلاً أو امرأة اعتنقا المسيحية حديثاً، فإنه يخلع ملابسه ويصير عارياً كما ولدته أمه، ثم يأتي الكاهن ومساعداه ويحملونه ويضعونه داخل البركة ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً⁽¹⁾.

2- العشاء الرباني أو (التناول) أو (الإستحالة): ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع

تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً.

هو قطع
من الخبز

مع كأس من الخمر تناولته انتصاراً في الكنييسة رمزاً وتذكارية

وفي العشاء الرباني يستعمل قليل من الخبز وقليل من الخمر لذكرى ما جرى بالمسيح ليلة القبض عليه وموته، حتى يكون هذا طعاماً روحياً للمسيحيين، تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل الخبز وشرب هذه الخمر إستحال الخبز إلى لحم المسيح، والخمر إلى دمه، فيحدث الإمتزاج بين الأكل وبين المسيح وتعاليمه^(١).

والأساس الذي تستند إليه المسيحية في العشاء الرباني إلى ما جاء في الإنجيل يوحنا على لسان المسيح: والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه، فمن يأكلني فهو يحيا بي، والخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم..... فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم، من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية، وأنا أقيمه في اليوم الأخير لأن جسدي مأكلاً حق، ودمي مشرب حق^(٢).

وكذلك ما جاء في رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى: إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبراً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور، اصنعوا هذا لذكرى، كذلك أعطاهم قليلاً من الخمر وقال: كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى، فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء^(٣).

ويحاول أحد الكتاب المسيحيين أن يبين العلاقة بين الخبز وجسد المسيح فيقول: إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيسيتين: فالخبز قوام الحياة الجسدية، والمسيح قوام الحياة الروحية، والخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعاماً الجسدي والمسيح إحتمل نار دينونة الخطيئة عوضاً عنا، لكي يكون طعاماً الروحي الذي يهبنا حياة إلى الأبد. أما الخمر فعلاقته بدم المسيح: فإنه أقرب مثال للدم من ناحيتين: فكلاهما أحمر اللون، وكلاهما حياة الجسد الذي يجري فيه، فالخمر هي حياة الكرمة، والدم هو حياة الجسد^(٤).

ولم تكن الخمر التي تستعمل في العشاء الرباني من النوع الذي يسكر، لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمر في هذا العيد، إذ أنها كما يقول المؤرخون: كانت عصير العنب الطازج، ومع ذلك فإن النصارى اليوم خالفوا ذلك ويشربون الخمر المسكر بحجة أن بولس أباح لهم أن يشربوا أي شيء، فكل ما يدخل الفم فليس بنجس⁽¹⁾. وما يذكر أن البروتستانت تنكر موضوع الاستحالة،

3- الاعتراف الذي يتبعه غفران الذنب والتوبة: وهو أن المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب، فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة، ولكنه منذ سنة (1215)م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل، ويستندون في ذلك إلى ما ورد في إنجيل يوحنا منسوباً إلى المسيح بعد قتله وصلبه، ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله: إقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياهم تغفر له، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت⁽²⁾.

وبعد الاعتراف من أخطر الطقوس التي تجريها الكنيسة، ويتحكم من خلالها رجالها ورهبانها بالناس، ويطلعون من خلالها على أسرارهم، وعن هذا السر نشأ في العصور الوسطى ما يسمى بـ (صكوك الغفران)، وهذا من الطقوس التي لا يعترف بها البروتستانت أيضاً⁽³⁾.

4- تقديس الصليب وحمله: إن تقديس الصليب عند المسيحيين سبق صلب المسيح نفسه، فقد ورد عن المسيح قوله: إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني⁽⁴⁾.

ومعنى حمل الصليب هو الإستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أبشع صورة، أي صلباً على خشبة كما يفعل بالمجرمين والأثمين. وقويت فكرة تقديس الصليب بعد

حادثة الصليب، فأصبح أداة تذكّر المسيحيين بالتضحية الضخمة التي قام بها المسيح من أجل البشر^(١).
<http://www.maktabeh.com>

ومن الواضح أن هناك علاقة بين تقدّيس الصليب عند المسيحيين وبين النظم الرومانية التي كانت تجعل حمل الصليب دليلاً على صدور الحكم بالإعدام صلباً، فحمل المسيحيون الصليب إستعداداً لهذه الحالة، ومن العجيب أن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام هي بذاتها تقدّس صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب وتوصي بتقدّيسه^(٢).

5- المسح بالميرون المقدس: يرى المسيحيون أن روح القدس نحل على المسيحي الذي نال نعمة المعمودية المقدسة، وهذه النعمة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها بعد التعميد، إذ يمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس، تشبهاً بالحنوط والطيب الذي دهن به جسد المسيح عند دفنه، وقد اقتسمها الرسل بعد قيامة المسيح وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل^(٣). حيث أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ثم أذابوه في زيت الزيتون وقدموه في عليّة صهيون، وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً للمعمودية، وهذا الدهن في نظرهم يعني حلول الروح القدس في الإنسان الذي نال المعمودية^(٤).

6- المسح على المريض: وهو سر يمسح الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس، ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً.

ومصدره ما ورد في إنجيل مرقس: أن الرسل قد خرجوا وصاروا يكرزون (يشرون) الناس أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرة، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم^(٥).

فأخذ رجال الكنيسة هذه المقولة وصنعوا منها سرّاً يقومون به ويشعّوذون به على الناس لا بتزازهم وأخذ أموالهم^(١).

7- حضور القسيس عند الموت: حيث يقوم الكاهن بتلاوة صلاة القنديل، ثم يدهن المريض بالزيت المقدس، خاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام^(٢).

8- حضور القسيس عند الزواج: لا يتم الزواج إلا بمعرفة الكنيسة أي بحضور القسيس، لذلك يسمى الرباط المقدس، الذي لا ينفصم^(٣)، والكنيسة جعلت الزواج فوق كونه ناموساً طبيعياً، سرّاً من أسرارها، ويعتمدون في ذلك على ما ورد في إنجيل متى: الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان^(٤)، وفي مراسيم الزواج تتلى تراتيل معينة، وبذلك يصبح زواجاً مقدساً.

9- سر الكهنوت: معناه السر الذي يحصل الإنسان به على النعمة التي تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر، فيعين بين الكهنة، فهو خلافة رسولية أخذها الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم، ويسلمونها لمن بعدهم، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح^(٥).

لذا فإن هذا السر يستخدم عند التنصيب لأي منصب ديني في الكنيسة، وهذا السر عمل مقدس، به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله، فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى درجات الكهنوت من أسقفية أو قسسية أو شماسية أو أي منصب ديني آخر.

ومصدر هذا السر أن السيد المسيح كما يقولون قد وضع أساس الكهنوت إذ اختار إثني عشر رسولاً، ثم اختار السبعين الآخرين وأعطاهم سلطان الكهنوت،

ومنها التعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا، وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل
إلى خلفائهم⁽¹⁾. وقد ورد في الإنجيل متى على لسان المسيح: الحق أقول لكم ما تربطونه
على الأرض يكون مربوطاً في السماء، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في
السماء⁽²⁾.



كلية العلوم الإسلامية
قسم الأديان مقارنة
المرحلة الثانية

المحاضرة الحادي عشر

المحرمات الأربعة

مدرس المادة

م.م مروة مزاحم شهاب

الحاقرة الحادية عشر

المبحث الأول المحرمات الأربعة

تعتبر المسيحية التوراة وأسفار النبيين السابقين كتباً مقدسة، وعليه أخذت بكل الشرائع التي نصت عليها التوراة إلا ما خالفه المسيح بنص قد أثر عليه، ويظهر أن المسيحيين استمروا على ذلك نحو من اثنتين وعشرين سنة من بعد المسيح، وهم في سيرور على المنهاج الذي سنة والطريق الذي بينه، ولكن التلاميذ اجتمعوا بعد مضي اثنتين وعشرين سنة من تركه لهم، وخطب يعقوب فيهم، مقترحاً عليهم أن يحصروا المحرم من الأمم في أربعة - على زعمهم - وهي: الزنى، وأكل المخنوق، والدم، وما ذبح للأوثان، وكان ذلك لأنهم وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلي النصرانية فيفرون منها بسببه.

وهذا نص ما جاء في الإصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال بعد بيان خلاف التلاميذ بشأن الختان، واجتماعهم لأجل الفصل في شأنه، "حينئذ رأي الرسل والمشايع أن يختاروا رجلين منهم، فيرسلوهما إلي أنطاكية مع بولس وبرنابا، وهما يهوذا الملقب برسابا وسيلا، رجلين متقدمين في الأخوة، كتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايع يهدون سلاماً إلي الأخوة الذين هم من الأمم في إنطاكية وسورية وكيلىكية، إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسهم، وقائلين أن تختنوا وتحفظوا الناموس، من الذين نحن لم نأمرهم وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين، ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا، وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً، لأنه قد رأي الروح القدس، ونحن ألا نضع عليكم ثقلاً أكثر، غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنى، التي إن حفظتم أنفسكم منها، فنعما تفعلون، كونوا معافين".^(١)

في هذا الخطاب يتبين أن المشايخ والتلاميذ يحلون للناس كل ما حرمه التوراة، وكتب النبيين السابقين، ولا يجعلون محرما عليهم إلا أربعة أمور، والامتناع عنها هو الأمر الواجب فقط، وبذلك حل لهم كل شيء حرمة التوراة، حل لهم الخمر والخنزير، وكل ما كانت التوراة وشرائع النبيين قد حرمت، وقالوا إن هذا التحريم بإلهام من روح القدس وتجليه.

وقد ذكر صاحب سفر الأعمال عن لسان بطرس، أنه قال في افتتاح ذلك الاجتماع الذي أصدر ذلك القرار ما نصه: "أيها الأخوة أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بغمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون، الله العارف للقلوب شهد لهم معطيا لهم روح القدس، كما لنا أيضا، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء، إذ ظهر بالإيمان قلوبهم، فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا، ولا نحن أن نعمله ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص، كما أولئك أيضا".^(١) فمن هذا النص يستفاد أن الذي سوغ لهؤلاء أن ينصرفوا جهرا عما كانوا عليه، وعما تركه المسيح، هو نزول الروح القدس عليهم كما يزعمون، كما كان ينزل على الأنبياء والصديقين، وذلك في اعتقاد كتاب المسيحية.

تحليل لحم الخنزير مع تحريمه في التوراة:^(٢)

ولقد أحلوا فيما أحلوا من محرمات التوراة لحم الخنزير وكان المعروف أنه حرام في النصرانية التي تأخذ بكتب العهد القديم، وعلى رأسها التوراة.

ويروي ابن البطريق في هذا المقام أن اليهود لما دخلوا في النصرانية بسبب اضطهاد قسطنطين لهم بعد تنصره شكك النصارى في إيمانهم، فأشار بطريرك القسطنطينية على قسطنطين أن يختبرهم بحملهم على أكل لحم الخنزير، وقال له: "إن الخنزير في التوراة حرام، واليهود لا يأكلونه، فتأمر أن تذبح الخنازير، وتطبخ لحومها، ويطعمون منها هذه الطائفة، فمن لم يأكل علمت أنه مقيم على اليهودية" عندئذ آمن

قسطنطين بتحريم الخنزير، إذ نصت على التحريم التوراة المقدسة في نظر النصارى، كما هي مقدسة في نظر اليهود، وقال: "إن الخنزير في التوراة محرم فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه، ونطعمه للناس" ولكن البطريرك ما زال به حتى حمله على الاعتقاد بأنه حلال، فقد قال له: "ولكن المسيح قد أبطل سائر التوراة، وجاء بتوراة جديدة هي الإنجيل، وقال في إنجيله المقدس أن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان، إنما ينجس الإنسان كل ما يخرج منه فيه" يعني السفه والكفر، وغير ذلك مما يجري مجراه، ويقص قصة عن بولس رسولهم بأن بطرس رأى رؤيا تفيد التحليل، وبذلك يحللون الخنزير.

كلية العلوم الإسلامية
قسم الأديان مقارنة
المرحلة الثانية

المحاضرة السادسة

المجامع المسيحية

مدرس المادة

م.م مروة مزاحم شهاب

المبحث الثالث

المجامع

المجامع المسيحية تعد من أهم مصادر المسيحية، لأن جملة كبيرة من العقائد والشرائع المسيحية ليست لها مستند عند المسيحيين من العهد القديم أو الجديد، وإنما اعتمدوا في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع.

والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، قد رسم رسلهم نظامها في حياتهم -كما يقولون-، حيث عقدوا المجمع بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة، وقرر ذلك المجمع، عدم التمسك بمسألة الختان، وعدم التمسك بشرائع التوراة وغيرها من شرائع التوراة، إلا بتحريم الزنا، وأكل المنخقة، وأكل الدم، وأكل ذبائح الأوثان، وبذلك سنّ الرسل بهذا المجمع سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشرعية⁽¹⁾، وقد ذكر هذا المجمع لوقا في رسالة أعمال الرسل⁽²⁾.

إذن فالمجمع هو التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالقضايا العقائدية والتشريعية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن مؤسسة الكنيسة وسلطة المجامع لم تكون موجودة في زمن المسيح، وإذا قلنا أن المسيح صرح للحواريين بسلطة ما، -وهذا محل جدل حتى اليوم- فمما لا شك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي من سلطان في التبشير بالتوبة، ولم يصنع منهم قساوسة، وعندما ندرس ما قام به هؤلاء الحواريون من أعمال، لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي، وداوموا بكل دقة على شعائره⁽³⁾.

وإذا استعرضنا هذه الجامعات والموضوعات التي انعقدت من أجلها، فإن كل مجمع منها ما عقد إلا لمعالجة مشكلة، أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم الصراع بين رجال الكنيسة أنفسهم، ثم ينتهي هذا المجمع إلى قرارات يرضى عنها من يرضى، ويغضب من يغضب، ثم سرعان ما تفرض هذه القرارات بقوة سلطان الكنيسة الديني، أو بقوة سلطان الدولة في بعض الأحيان. وأخطر ما في هذه الجامعات، أنها لم تقتصر على معالجة القضايا الشكلية أو الإجرائية لتنظيم الكنيسة وأعمالها، وإنما عاجلت في كثير من الأحيان قضايا جوهرية ذات علاقة بأصول المعتقدات المسيحية كالتثليث وطبيعة المسيح⁽¹⁾.

وتنقسم الجامعات المسيحية إلى قسمين⁽²⁾:

القسم الأول: الجامعات العامة، الشاملة لكل الكنائس والطوائف والمذاهب، وتسمى بالجامع المسكونية -نسبة إلى الأرض المسكونة-.

القسم الثاني: الجامعات الخاصة، وهي تنقسم إلى قسمين:

أ- الجامع الملي: الخاصة بملة واحدة.

ب- الجامع الإقليمية: التي تجمع مذاهب وملل مكان محدد.

وأخطر هذه الجامعات، هي الجامع المسكونية، لأنها تختص بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة، ولها سلطان التشريع، ويقول المؤرخون: أن عدد الجامعات العامة المسكونية التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي إلى عام 1869، تساوي عشرين مجعاً، وأخطر الجامعات، وأبعدها أثراً، وأكبرها شأنًا، أربعة، وهي التي عقدت في القرون الأولى للمسيحية، فحددت حدود العقيدة، ورسمت مظاهر التشريع عند اتباع المسيحية:

1- مجمع نيقية المنعقد في 325 م.

2- مجمع القسطنطينية الأول المنعقد في 381م.

3- مجمع أفسس المنعقد في 431م.

4- مجمع خليكدونية سنة 451م.

الأول: مجمع نيقية: وقد عقد هذا المجمع في مدينة نيقية قرب القسطنطينية تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين، بناءً على اقتراح تقدم به أسقف إسبانيا، الذي أرسله الإمبراطور لحل قضية خلافة عمت أرجاء الدولة الرومانية بين (أريوس) وبطريك الأسكندرية، وكان أريوس يتبنى رأي الموحدين، بينما يتبنى بطريك الأسكندرية رأي المؤلهين لعيسى عليه السلام⁽¹⁾.

وقد ظهر هذا الاختلاف، بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الروما، واليونان، والمصريين، الدين المسيحي، فتكون فيه مزيج غير تام التكوين، غير تام الاتحاد والإمتزاج، وكل قد بقي عنده من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره في دينه الجديد، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم، وممن دخل في ذلك الدين فلاسفة لهم آراء فلسفية أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه على ضوءها. ولقد كانت هذه الاختلافات كامنة لا تظهر مدة الاضطهادات الرومانية، فلما أحسوا بالأمان بعد إعلان قسطنطين العفو والسماح عنهم، ظهرت الخلافات الكامنة، وإذا هم لم يكونوا متفقين إلا في التعلق باسم المسيح، وكان الخلاف يدور حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط؟ أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن؟⁽²⁾

وأراد قسطنطين أن يحسم النزاع بين المسيحيين، فدعا إلى عقد مجمع نيقية سنة 325م، وأرسل بذاته رسائل إلى الفرق المتخاصمة، وفي هذا يقول مؤرخ المسيحية إبن البطريق: 'بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان، فجمع البطارقة والأساقفة، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون ألفاً من الأساقفة (2048)، وكانوا مختلفين في الآراء

والأديان، فمنهم من كان يقول: أن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مرّ في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن كلمة الله دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد. ومنهم من قال: أن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تنزل، ومنهم من كان يقول بالوهمية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول⁽¹⁾.

اجتمع أولئك المختلفون، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من؟! وأخيراً جنح إلى رأي بولس، وعقد مجلساً خاصاً للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي، وكانت عدتهم (318). وهؤلاء هم الذين أخذوا خاتم قسطنطين، وسيفه، وقضيبه، وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي، لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين، وصلاح المؤمنين⁽²⁾.

وبينما خرجت الأغلبية من هذا المجتمع محتجة على طريقة سير أعماله، والإرهاب الفكري الذي مورس فيه، فإن الأقلية المتمثلة بـ الثلاثمائة والثمانين عشر، قد مكنت من أن تصدر قرارات المؤتمر، والتي غيرت مسار المسيحية، وأهمها:

- 1- تحريم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله بتاتاً.
- 2- القول بالتثليث، وبالوهمية المسيح ونزوله ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشرية.
- 3- عدم التصريح لمن يترمل من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى.
- 4- إختار المجتمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة.
- 5- طرد كل من يخرج على هذه العقيدة⁽³⁾.

وهكذا فإن المجتمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من

كتب المسيحية رأساً، بل لا بد من تلقيها من أفواه رجال الكهنوت، وأن أقوالهم في ذاتها حجة، سواء أخالفت النصوص أم وافقت؟!

وبناء على هذا فإن المجمع أمر بتحريف الكتب التي تخالف رأيه، وتتبعها في كل مكان، وحث الناس على تحريم قراءتها⁽¹⁾.

وقد وجه الباحثون والمؤرخون الكثير من الانتقادات الموضوعية لهذا المجمع، ومن أهم هذه الانتقادات⁽²⁾:

- 1- أن المجمع اتخذ قراراته بأقلية مغلوبة على أمرها.
- 2- كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب بولس الذي انتهى إليه المجمع.
- 3- كيف يؤخذ برأي قسطنطين في ترجيح مسألة في العقيدة، مع ملاحظة أنه ليس قديساً، ولا قسيساً، ولا مسيحياً، فما زال حتى انعقاد المجمع محايداً يعطف فقط على المسيحيين؟!
- 4- ما هي سلطة المجمع الدينية في الأناجيل لتحل أو تحرم من غير الرجوع إلى النصوص في الأناجيل؟!
- 5- كيف يمكن تفسير موقف أحد الأساقفة الذين إتبّعوا الملك في القول بالوهية عيسى ثم عندما سنحت له الفرصة عارضها وندد بها، وراح يدعو إلى مذهب آريوس؟ ذلكم هو الأسقف (أوسابيوس)، الذي تقرب إلى قسطنطين حتى عينه بطريركاً للقسطنطينية، فانقلب وراح يدعو إلى مذهب آريوس، وأظهر ذلك في مجمع (صور) الذي انتهت المناقشات فيه إلى ملاكمات بالأيدي، وضربوا بطريرك الأسكندرية على رأسه ليخرج منه الوثنية لأنه كان مخالفاً لرأي أوسابيوس؟ كيف يمكن تفسير هذا الموقف، مع أن الرجل كان واحداً من الموافقين على الوهية المسيح؟ ألا يعطينا هذا الحدث دليلاً على أن مجمع نيقية قد قرر القرارات رغم أنف الحاضرين؟!

ويقول المؤرخون: أن مقالة أريوس في التوحيد، غلبت على القسطنطينية، وأنطاكية وبابل، والأسكندرية، وأسيوط. وقد كان على كثير من الكنائس رؤساء موحدون يستمسكون بالتوحيد ويحثون على الاستمساك به.

وهكذا نجد صراعاً قوياً بين التوحيد والوهية المسيح، فالتوحيد كان قوياً بالكثرة وقوة الإيمان، والوهية المسيح بقوة السلطان، وبقايا الوثنية. ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول، حتى اختفى المذهب الحق، ولم يظهر على السطح إلا الوهية المسيح⁽¹⁾.

الثاني: مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م.

وهذا المجمع من الجوامع المهمة عند المسيحيين، لأنه كان استكمالاً لما بدأه مجمع نيقية الذي أقر الوهية المسيح وأنه ابن الله، لكنه لم يذكر شيئاً عن الأقنوم الثالث من الثالوث، حيث أقر هذا المجمع الوهية الروح القدس ليتم الثالوث المسيحي.

ويبدو أن هناك أفكاراً قد ظهرت في مسألة التأليه للروح القدس، حيث قال (مكدونيوس) أن الروح القدس ليس بأله وإنما هو مخلوق، وشاعت هذه المقالة فتقبلها الموحدون وخالفها المؤلهون، فانعقد هذا المؤتمر من أجل ذلك، وكان عدد المجتمعين فيه لا يزيد عن مائة وخمسين أسقفاً⁽²⁾.

وكان أهم قرارات هذا المجمع:

- 1- إثبات أن الروح القدس هي روح الله وهي حياته، فهي من اللاهوت الإلهي.
- 2- لعنة مكدونيوس وأشياعه، وكل من يخالف هذا القرار⁽³⁾.

يقول ابن البطريق مؤرخ المسيحية في بيان قرارهم: زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً، الذين اجتمعوا في نيقية الإيمان بروح القدس الرب المحمي المنبثق من الأب، الذي هو مع الأب والإبن مسجود له، وممجّد، وثبتوا أن الأب

والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاثة خواص، وحادية في تثليث، وتثليث في وحادية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد، جوهر واحد، طبيعة واحدة، وهكذا تقرر التثليث، وتمت أقانيمه⁽¹⁾.

الثالث: مجمع أفسس الأول سنة 431م

والغرض من عقد هذا المجمع محاكمة أصحاب البدع، التي ظهرت في ذلك الحين، ومنهم (بيلاجيوس) و (نسطور)، أما الأول فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء، فناقشه المجمع ثم حرمه وأسقطه من رتبته. وأما نسطور فقد كان أسقفاً على القسطنطينية ما لبث أن نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية. ونسطور وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر، إلا أنه أنكر ألوهيته⁽²⁾.

ومذهب نسطور يقرر أن هناك أقنوماً وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الأب، ونسبة الألوهية تكون إلى الأب، وطبيعة الإنسان وهو مولود من مريم، وإذن فمريم أم الإنسان وليست بأم الله، والمسيح الذي ظهر بين الناس متحد بالحبة مع الابن، والعلاقة بين الله وبين ابنه المحبة، والمسيح الظاهر ليس إلهاً ولكنه مبارك بما وهبه الله من الآيات والتقديس⁽³⁾.

إذن فإن مقالة نسطور في المسيح، كانت جوهرية تختص بأعظم مواضع الإيمان في الدين المسيحي، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة، أو هو ملهم من الله، فلم يرتكب خطيئة⁽⁴⁾.

وانعقد المجمع وحضره نحو مائتين من الأساقفة، وغاب عنه نسطور، وكان أهم

قراراته:

- 1- أن مريم العذراء والدة الله، وأن المسيح إله حق، وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد في الأقسام. وكان نص القرار: أن مريم القديسة العذراء ولدت إلهاً يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت والطبيعة.
- 2- أقرّوا بطبيعتين للمسيح: واحدة لاهوتية، والأخرى ناسوتية بشرية.
- 3- لعن نسطور ونفيه إلى مصر⁽¹⁾.

ورغم نفي نسطور وطرده، إلا أن مذهبه انتشر في بقاع كثيرة في المشرق، فلقد وجد أرضاً صالحة له في هذه المنطقة، وتكاثر أتباعه في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة⁽²⁾.

الرابع: مجمع خلقيدونية سنة 451م

من نتائج المجمع السابق، إعتبار أن للمسيح طبيعتين: لاهوتية، وناسوتية، وهذا القرار لم يحسم النزاع بين الطوائف المسيحية المتخاصمة، لاسيما والفريق المعارض أخذ ينشر مذهبه، وعلى الجهة المقابلة يخرج بطريرك الأسكندرية بمذهب جديد في تفسير طبيعة المسيح، فيقول: إنهما طبيعتان في طبيعة واحدة، إنهما اللاهوت والناسوت إلتقيا في المسيح، ولهذا عقد بطريرك الأسكندرية مجمع أفسس الثاني، وقرر فيه مذهبه: أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت. ففضبت الكنيسة الغربية، وسمت هذا المجمع بمجمع اللصوص، وبرزت بسبب ذلك أفكار دينية حول: صحة انعقاد مجمع أفسس الثاني، وكذلك مدى سلطانه التشريعي. لكل هذا عم البيئة المسيحية نزاع وفوضى فكرية ودينية، فأرادت ملكة الرومان إنهاء ذلك الشغب، فدعت إلى عقد مجمع في مدينة خلقيدونية في عام 451م⁽³⁾.

وقد عقد هذا المجمع في جو عنيف متعصب، وانتهى المجمع إلى أن قرر: أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها، والناسوت طبيعة

وحدها، التقنا في المسيح، وقد قال ابن البطريق في بيان قرار المجمع: قالوا أن مريم العذراء ولدت إلهنا، ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أن المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد⁽¹⁾.

ويقول المؤرخون المسيحيون، أن مجمع خلقيدونية حضره (520) أسقفاً، تحت إشراف زوج الملكة، وقد أدى هذا المجمع إلى إنشقاق في المسيحية المثلثة، وهو أساس اختلاف الكنائس إلى يومنا الحاضر، فالمصريون عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع، مما أدى إلى انقسام في الكنائس، أو بعبارة أدق هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية، ولقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية في مصر عن الكنيسة المصرية فقال: كنيستنا ومعها الكنائس الحبشية والأرمنية، والسريانية الأرثوذكسية، تعتقد بأن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم، أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، وأن الأقنوم الثاني - أي أقنوم الابن - تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، فصير هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط، والامتزاج والاستحالة، بريثة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشينة واحدة⁽²⁾.

لقد قررت المجامع الأربعة السابقة العقيدة المسيحية الحاضرة، فأولها قرر ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، لا الإنسان فقط، وأن مريم ولدت الاثنين، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة، والمجامع الثلاثة الأولى اتفق المسيحيون على أنها مجامع عامة التزم بأحكامها جميع المسيحيين، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر كل المسيحيين، فالكنيسة المصرية لم تعترف به، وانشقت بسببه عن كنيسة روما. والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون قاطبة بأنه (مجمع مسكوني)، فكل هذه

المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة روما⁽¹⁾.
ملاحظات على المجامع الأربعة السابقة:⁽²⁾

1- أن المجامع المسيحية، لم تجتمع إلا تحت ظروف الخلاف والشقاق في أمور خاصة بالعقائد المسيحية.

2- أن المجامع لم تنه الخلافات حول العقيدة المسيحية، ولكنها ولدت خلافات جديدة، وعمقتها بقرارات الحرمان والطرود.

3- أن المناقشات والقرارات لم تعتمد على نصوص من الأناجيل، ولا من رسائل الرسل.

ومن أهم المجامع التي عقدت بعد هذه المجامع الأربعة:

الخامس: مجمع القسطنطينية الثاني عام 553م

وسبب عقد هذا المجمع، أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح، حتى لقد قالوا: إنه ليس هناك قيامة. وكذلك في قول بعض الأساقفة أن شخص المسيح لم يكن حقيقة، بل كان خيالاً، فاجتمع لذلك هذا المجمع، وكانت عدة الحاضرين فيه (140) أسقفاً، وقرروا حرمان هؤلاء الأساقفة الذين قالوا بتناسخ الأرواح وإنكار القيامة، وكذلك الذين قالوا بأن المسيح كان خيالاً، بل لعنهم وطردهم من زمرة المسيحيين، ولم يكتفوا بذلك، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة، ومنها قرار مجمع خلقيدونية⁽³⁾.

السادس: مجمع القسطنطينية الثالث عام 680م

وسبب انعقاده، ظهور رجل اسمه (يوحنا مارون) في القرن السابع الميلادي سنة (667)، كان يقول أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو مشيئة واحدة لإلتقاء الطبيعتين في

أقنوم واحد، ولكن هذه المقالة رفضها بقية القساوسة، فأوعزوا إلى الإمبراطور أن يعقد مجمعاً عاماً، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين، وذو مشيبتين⁽¹⁾.

وقد أدى هذا المجمع إلى هرب يوحنا مارون إلى لبنان، وانتشار دعوته في تلك المنطقة، مما أدى في نهاية المطاف إلى إنشقاق أتباعه الذين سمو بـ (الموارنة) عن كنيسة روما.

وقد انعقد هذا المجمع بحضور (289) أسقف، وكان نص المجمع ما يلي: إننا نؤمن بأن الواحد الثالث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الأب الإله في أقنوم واحد، ووجه واحد، يعرف تماماً بناسوته، تماماً بلاهوته في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيتين في أقنوم واحد⁽²⁾.

السابع: مجمع نيقية الثاني عام 787م

وسبب انعقاده، أن الإمبراطور قسطنطين الخامس عقد مجمعاً عام 754م، وقرر هذا المجمع⁽³⁾.

1- تحريم إتخاذ الصور والتماثيل في العبادة.

2- تحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء.

ولأجل هذا المجمع انعقد مجمع نيقية الثاني سنة 787م، وكان عدد الحضور (377) أسقفاً وأصدروا القرارات التالية:

1- تقديس صور المسيح والقديسين.

2- وضعها في الكنائس، والأبنية المقدسة، والبيوت، والطرق، لأن النظر إلى ربنا يسوع المسيح ووالدته، والقديسين يشعره بالميل إلى التفكير فيهم⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق: 143.

(2) محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة: 143.

(3) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلي: 111.

(4) المصدر السابق: 112.

الثامن: مجمع القسطنطينية الرابع 869م

كان أساس الخلاف في المجامع السابقة (طبيعة المسيح)، ولم يتعرض أحد للروح القدس، ومن أي شيء إنشق، حتى أثار بطريرك القسطنطينية، هذا الموضوع، فحكم بأن إنشقاق الروح القدس كان من الأب وحده، فعارضه في ذلك بطريرك روما قائلاً: إن إنشقاق الروح القدس كان من الأب والإبن معاً، ولم يكن من أحدهما⁽¹⁾.

وقامت المعركة بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وعزل بسبب ذلك بطريرك القسطنطينية، وجاء خلفه بطريرك آخر فعقد مجعاً في القسطنطينية عام 869م، ويسميه المؤرخون (المجمع الغربي اللاتيني) للنظر في قضية إنشقاق الروح القدس من الأب والإبن. وكان من أهم قراراته:

- 1- إنشقاق الروح القدس من الأب والإبن معاً.
- 2- كل ما يتعلق بالديانة المسيحية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة بروما.
- 3- كل المسيحيين في العالم يخضعون لكل المراسيم والطقوس التي يقول بها رئيس كنيسة روما.
- 4- لعن وطرده بطريرك القسطنطينية وحرمانه هو وأتباعه⁽²⁾.

الثامن (مرة أخرى): مجمع القسطنطينية الخامس 879م

وسبب انعقاده أن بطريرك القسطنطينية المعزول استطاع أن يعود إلى مركزه، فعمد إلى ما كان قرره مجمع القسطنطينية الرابع عام 869م ليطله، وليقرر مذهبه، فلذلك عقد مجعاً تاريخياً سمي بـ (المجمع الشرقي اليوناني).

وكان من أهم قراراته:

- 1- رفض كل ما قرره المجمع القسطنطيني الرابع المنعقد عام 869م.
- 2- إنشقاق الروح القدس عن الأب فقط.

وهنا يلاحظ الباحث أن الصراع الفكري والقومي في الكنيسة قد ظهر، فلم تعد المسألة مسألة دين، ولكنها مسألة سلطة وقومية:

- 1- فمن المجمع الرابع المنعقد في خلقيدونية انفصلت الكنيسة المصرية إنتصاراً لبطريركها وانتصاراً لشعورها الوطني الذي تراه قاً أهين بما نسب إلى بطريركها، وما حكم عليه به من الحرمان، فتعصبت لمذهبه ورأته أنه هو الصحيح.
- 2- ومن المجمعين الشرقي اليوناني، والغربي اللاتيني، المنعقدين في مدينة القسطنطينية انقسمت الكنيسة اليونانية على كنيسة روما، وصارتا كنيستين: إحداهما تسمى (الكنيسة الغربية البطرسية)، وذلك لأن أتباعها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو (بطرس) الحواري، أو حسب زعمهم (الرسول)، والبابوات خلفاؤه من بعده. وتسمى (الغربية) لكون سلطانها في بلاد الغرب، وهذه الكنيسة تدعي أنها صاحبة السلطان الديني، وأن سلطانها يمتد إلى: بلجيكا، وإيطاليا، وإسبانيا، وفرنسا، والبرتغال.
- والأخرى تسمى (الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية): فلا تعترف إلا بالمجامع السبعة التي سبقت مجامع القسطنطينية التي حدث فيها الخلاف والإفتراق، كما لا تعترف لبابا روما بالسيادة، أو الرئاسة، وسلطانها في بلاد روسيا، واليونان، والصرب، وجانب من جزر البحر الأبيض المتوسط.

وإلى هنا فقد تقرر تاريخياً الانفصال بين الكنائس التالية:

- 1- الكنيسة المصرية، ومقرر رئاستها القاهرة.
- 2- الكنيسة الشرقية اليونانية الأرثوذكسية، ومقر رئاستها (القسطنطينية).
- 3- الكنيسة الغربية البطرسية البابوية، ومقر رئاستها (روما)⁽¹⁾.

التاسع: مجمع روما عام 1123م

وأهم قراراته: أن تعيين الأساقفة من شأن البابا لا من شأن الحكام⁽²⁾.

العاشر: مجمع روما عام 1139م

وقد انعقد هذا المجمع من أجل إزالة الفرقة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقد حضره ألف أسقف، ولكنه فشل في التوصل إلى إزالة الخلافات بين الكنيستين.

الحادي عشر: مجمع روما 1179م

وانعقد لوضع نظام التأديب الكنسي، وفيه تقرر ما يلي:

- 1- انتخاب البابوات بثلاثي عدد الكرادلة.
- 2- السكوت عما شاع عن: إستحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني، إلى جسد ودم المسيح⁽¹⁾.

الثاني عشر: مجمع روما 1215م

وقد بحث هذا المجمع ما شاع عن إستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح، ولذلك قرر ما يلي:

- 1- إقرار ما شاع سابقاً من أن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح، وجعله مبدأ دينياً.
- 2- الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء⁽²⁾.

وتتوالى بعد ذلك المجمع الكاثوليكية، وأهم هذه المجمع وأعظمها أثراً، وأقواها عملاً المجمع التاسع عشر:

التاسع عشر: مجمع (تريدنتو) من عام 1542 إلى عام 1563

وقد انعقد هذا المجمع المتواصل لأكثر من عشرين عاماً، للرد على الأفكار التقدمية التي ظهرت بين الجماهير المسيحية، والتي أدت إلى ظهور فرقة (البروتستانت)، وكانت كل قراراته قائمة للرد على أفكار الفرقة البروتستانتية⁽³⁾.

(1) المصدرين السابقين.

(2) أضواء على المسيحية / د. رؤوف شلي: 115.

(3) المصدر السابق: 116.

العشرون: مجمع روما عام 1869م

وكان أهم قراراته: إقرار أن البابا معصوم⁽¹⁾. وبذلك انتقل حق التشريع إلى البابا كرأس للكنيسة، وعن طريقه أصبحت الكنيسة تملك حق التشريع، وقد نسب المسيحيون عصمة الكنيسة ومن ثم (البابا) إلى المسيح حيث يقول الأب بولس إلياس: لقد خول السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه: 'كما أرسلني الأب، هكذا أنا أرسلكم'. ويقول عبد الأحد داود: إن المسيحيين عندما أثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة في إصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام إلى حبر روما، وأصبح حكمه قطعياً⁽²⁾.



مكتبة

المفتدين

كلية العلوم الإسلامية
قسم الأديان مقارنة
المرحلة الثانية

المحاضرة التاسعة
ميراث المرأة في الانجيل والديانة
المسيحية

المحاضرة العاشرة
عمل المرأة في الانجيل والديانة
المسيحية

مدرس المادة
م.م مروة مزاحم شهاب

المبحث الثانى

ميراث المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية

إن من الحقائق الثابتة والمؤكددة والتي لا خلاف فيها ؛ أن المسيحية لم تضع قانونًا للميراث ، وبالرغم من أن المسيح قد جاء لا لينقض الناموس والأنبياء ، ولكن ليكمل ، فإنه قد نقض نهائيًا نظام الإرث كما جاء فى التوراة «العهد القديم» ، وكما تم تشريعه فى الديانة اليهودية وفقا لأحكام التوراة ، فقد جاء أحدهم إلى السيد المسيح قائلا: «(١٣) يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث (١٤) فأجابه : من أقامنى عليكما قاضيًا أو مقسمًا (١٥) وقال للجميع : احذروا وتحفظوا من الطمع ، فمتى كان الإنسان فى سعة لا تكون حياته فى أمواله » [لوقا ١٢ : ١٣ - ١٥] .

وقد سئل قداسة البابا شنودة الثالث (١) :

ماهو موقف الكنيسة فى تقسيم الميراث بين الرجل والمرأة ؟ فقال قداسته : «الكنيسة لم تضع للميراث نظامًا محددًا » واسترشد بفقرات لوقا ١٢ : ١٣ - ١٥ . واستطرد قائلا : « المسيحية لم تضع قوانين حالية ، وإنما وضعت مبادئ روحية ، فى ظلها يمكن حل المشاكل المالية وغيرها وينطبق هذا على موضوع الميراث ، وإن وجدت بين الأخوة محبة وعدم طمع ، يمكن أن يتفاهموا بروح طيبة فى موضوع الميراث ، بل كل واحد منهم يكون مستعدًا أن يترك نصيبه لأى واحد من إخوته أو أخواته يرى أنه محتاج أكثر منه » .

ويستدل قداسته بمكان ذلك فيقول معقبًا وموضحًا (٢) : « انظر كيف كانت الامور تجري فى الكنيسة الاولى أيام الرسل ؛ بنفس هذه الروح : لم يكن أحد يقول : إن شيئًا من أمواله له ، بل كان عندهم كل شيء « مشتركًا » ولم يكن فيهم أحد محتاجًا . . . وكان يورع على كل أحد ، كما يكون له احتياج » [أعمال الرسل ٤ : ٣٢ - ٣٥] .

هكذا عاشت الكنيسة مرتفعة عن مستوى القانون ، تدبر أمور أولادها فى

محبة وقناعة .

حاليا نحن نسير حسب قانون الدولة فى الميراث ، ولكن يمكن التعرف قبل وفاة أحد الوالدين ، فمثلا : إذا وجد الأب أن أولاده موسرين وأغنياء ، وابنته محتاجة ، يستطيع قبل وفاته أن يكتب لها جزءاً من الميراث ، أى أن يتنازل عن جزء بطريقة شرعية تسجل فى الشهر العقارى ، وتصبح مالكة لهذا الجزء فى حياته ولا علاقة له بالميراث .

أى أنه يوجد نوع من التصرف باسم القانون ، لتعديل أنصبة الورثة قبل وفاة أحد الوالدين ؛ فالأمور يمكن أن تحمل بالمحبة والقناعة ، أو بالحكمة ، أو بالتصرف القانونى السليم لإقامة العدل بين الورثة ، وليس بتنفيذ حرفية القانون .

ويلاحظ على الميراث فى المسيحية عدة ملاحظات :

بالإضافة إلى نسخ - إلغاء نظام الميراث فى التوراة ، فلم يأت الإنجيل بقانون أو تشريع جديد ، وفقرات [لوقا ١٢ : ١٣ - ١٥] التى أشار إليها قداسة البابا لا تلغى تشريع الميراث فى التوراة ، لأن المسيح لم يضع قانوناً جديداً ، ولكنه لم ينفذ القانون الموجود فعلاً ورفض الاشتغال بالقضاء وترك الدعوة إلى الله ؛ ولذلك فقد حذر من الطمع فى الفقرات التالية وضرب مثلاً للغنى الذى أحب غناه، وقرر بناء مخازن جديدة ليكفيه غناه سنوات طويلة ، وهو لا يدرك أنه سيموت من ليلته ، ولن يكون صباحاً من الأحياء ، كما يقر قداسته أن الميراث يوزع بإشراف الكنيسة حسب الحاجة للورثة ، أو طبقاً لقوانين البلاد التى يعيش فيها المسيحيون، وللكنيسة حق إعادة توزيع الحصص وفقاً لما يتفق عليه الورثة ، كما يمكن للمورث أن يكتب حال حياته لأحد أولاده ما يشاء ، أى أن التصرف القانونى كفىل بحل مشاكل الميراث .

وفى الواقع أن تصرف المورث لأحد الورثة فى أنصبة حال حياته يدعو باقيهم بالحقد عليه وعدم الرضا ، مما ينشئ النزاع بين الورثة ، ويورث العداوة والبغضاء بدلاً من توريث المحبة والإخاء والعدالة الناتجة من تنفيذ تشريعات السماء .

وهل هناك أفضل من تنفيذ حرفية القانون ؟!

إن المسيحية بافتراضها الدائم وجود المحبة والقناعة والحكمة بين معتنقيها إنما تفترض وجود خصائص ليست دائمة فى الإنسان ، لاختلاف العادات الشخصية

ووجهات النظر والمصالح الشخصية ، وحب النفس وعبادة الذات ، وهو أمر كان متوارياً فى عهد المسيح عهد الدعاة الاوائل الذين جعلوا الاموال مشاعة بين المؤمنين للإنفاق على الدعوة .

والإنجيل يوضح لنا أن المسيح طلب من أحد الاغنياء بيع أملاكه واتباعه فرفض ، وأن حناينا وسفيره باعا أموالهما وألقوا نصفها تحت أقدام بولس والتلاميذ وخبأ النصف الآخر ، أى أنهما لم يوبا بالتزاماتهما كاملة .

ومن هنا يتضح لنا قصور المسيحية كدين عن وضع قانون للميراث ؛ ولذلك نرى الكثير منهم يورث القسط والكلاب ، ويترك ذويه من أصول كآب وأم وزرع كأولاد وأولاد أولاده وأزواج .

المبحث الثانى

عمل المرأة فى الإنجيل والديانة المسيحية

نقصد بعمل المرأة فى الديانة المسيحية : هو مدى إيمان المسيحية من واقع التوراة والإنجيل وأقوال آباء الكنيسة بعمل المرأة فى المجالات المختلفة خارج منزلها أو بيتها .

والواقع أن المسيحية آمنت بأن الهدف الأساسى للمرأة وغاية عملها المقدس هو العمل كزوجة وصانعة أجيال أو كداعية ومعاونة لآباء الكنيسة ولا تؤمن بعملها خارج هذا النطاق .

وسنوضح فى هذا المبحث :

أ - طبيعة عمل المرأة وفقاً للتوراة والإنجيل وأساسه .

ب - آراء آباء الكنيسة فى عمل المرأة وآفاق هذا العمل .

أ - طبيعة عمل المرأة وفقاً للتوراة والإنجيل وأساسه :

جاء فى التوراة عن طبيعة عمل آدم وحواء فى الدنيا كعقاب عن المعصية «(١٧) وقال لآدم : لأنك أذعنت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التى نهيتك عنها ، فالأرض ملعونة بسببك بالمشقة تفتات منها طوال عمرك . . . (١٩) يعرق جبينك وتكسب عيشك حتى تعود إلى الأرض ، ومن تراب أخذت وإلى تراب تعود» [التكوين ٣ : ١٧ - ١٩] .

إذن كُتب على آدم الشقاء والكد والتعب والعمل حتى الموت ، أما عن المرأة «(١٦) ثم قال للمرأة : أكثر تكثيراً أوجاع مخاضك فتنجين بالآلام أولاداً ، وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك » [التكوين ٣ : ١٦] .

إذن مهمة المرأة الأساسية هى الزوجة أم الأولاد وسكن آدم ، ويؤكد بولس هذه النظرية فيقول ناصحاً كبار السن من النساء بتدريب الشابات على حسن التبعل لأزواجهن وتربية أولادهن :

« (٣) كذلك أن تكون العجائز ذوات سيرة موافقة للقداس ، غير ثمامات ولا

مدمنات للخمر ، بل معلمات لما هو صالح (٤) لكى يدربن الشابات على أن يكن
محبات لأزواجهن ولأولادهن (٥) متعلقات عفيفات مهتمات بشؤون بيوتهن
صالحات خاضعات لأزواجهن . . . » [تيطس ٢ : ٣ - ٥] .

وكانت نظرة المسيحية للمرأة تلخص فى : أن أنسب تعبير نصف به موقف
كنيسة الآباء تجاه النساء هو تضارب الأقوال ، فالنساء من خليفة الله وعطيته
الصالحة للرجال ، وهن أيضاً لعنة العالم ، فهن ضعاف العقل والشخصية ، ومع
ذلك أظهرن شجاعة فائقة ، وأخذن على عاتقهن القيام بأعمال فذة فى رعاية
الأشخاص وفى نشر الثقافة ، ومع أنهن وُصِفْنَ بأنهن مختلات مآكرات
وشهوانيات ، إلا أنهن اقتدن الرجال للمسيح ، وتخلين عن الاتصالات الجنسية ، ولم
يحركن ساكناً أمام تهديدات الجلادين ، ولبسن المسوح والرماد .

إذن لم يعمل شأن المرأة فى المسيحية كعامل مساعد للرجل إلا فى حالة واحدة
وهى أعمال المرأة فى سبيل نشر الدعوة والتضحية من أجلها والتبتل تعبدًا وزهدًا .
ومن آراء كبار علماء المسيحية فى ذلك يوحنا ذهبى الفم الذى يقول :

« . . . إن للزوجة هدفًا واحدًا فقط ، أن تحرس الممتلكات التى جمعناها وأن
تراقب الدخل وأن تهتم بأهل المنزل ، ولهذا السبب أعطاها لك الله . . . وبالإضافة
لأمور أخرى معينة لك ؛ إن حياتنا تدور فى حيزين ، شؤون عامة وأمور خاصة ،
وكلاهما مرتب من قبل الله ، فالمرأة متروكة لها الإشراف على شؤون المنزل ،
وأما الرجل فعليه الإشراف على كل شؤون الدولة والتجارة وتحقيق العدالة
والحكم والشؤون العسكرية وكل المهام الأخرى ، فالمرأة لا تستطيع أن ترشق
حربة ، ولا أن تطلق سهمًا ، ولكنها تستطيع أن تمسك بفلكة المغزل وتنسج على
النول وتقوم بكل الأعباء المنزلية بصورة صحيحة ، وهى لا تستطيع أن تعبر عن
رأيها فى مجتمع تشريعى ، ولكن يمكن أن تعبر عن رأيها فى البيت ، وفى
الأغلب فهى أكثر إلمامًا بشؤون المنزل من زوجها ، وهى لا تستطيع أن تدير شؤون
الدولة جيدًا ، ولكنها تستطيع أن تربي الأطفال تربية صحيحة والأطفال هم ثروتنا
الرئيسية .

وهذه الأمور لا يمكن أن يؤديها بنجاح الزوج ولو تولاها هو بنفسه حتى وإن
بذل جهودًا مكثفة فى ذلك « (١) .

ورأى ذهبى الفم يوضح استحالة تبادل الأعمال ، فالمرأة لا تصلح لأعمال الرجل والعكس ، فلكل طبيعته التى وهبها له الله .
المرأة والدعوة للدين المسيحى :

الثابت من الإنجيل دور المرأة الهام فى مساعدة بولس والتلاميذ فى نشر الدعوة ، ولكن ليس كدعاة ووعاظ ولكن كخدم لبولس وتلاميذه وقد أوصى بولس على بعضهن :

« (١) وأوصيكم بفيبي أختنا الخادمة فى كنيسة كنخريا (٢) فاقبلوها فى الرب قبولاً يليق بالقدسين وقدموا لها أى عون تحتاج إليه منكم ؛ لأنها كانت معينة لكثيرين ولى أنا أيضا . . . سلموا على بريسكلا وأكيلا معاونى فى خدمة المسيح يسوع . . » [رومية ١٦ : ١ ، ٢] .

هذا وقد أرسل بولس بعض التحيات الخاصة لنسوة ساعدته فى الخدمة « (٣) سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع (٤) اللذين وصفا عنقيهما من أجل حياتى . . (٦) سلموا لى على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا . . » [رومية ١٦ : ٣ ، ٤ ، ٦] .

كما أوضح بولس مساعدة الزوجات لأزواجهن فى الدعوة وتمنى أن يكون لهم واحدة منهن « العلنا ليس لنا سلطان أن يخول بأخت زوجة كباقي الرسل » [١ كورنثوس ٩ : ٥] .

هذا وقد سئل قداسة البابا شنودة عن عمل المرأة فى الدعوة أو الكنيسة المسيحية فجاء عن ذلك (١) .

س - عيتم قداستكم بعض النساء فى عضوية مجلس شمامسة الكنيسة ، فما تفسيركم لهذا ، بينما خدمة الشمامسية قاصرة على الرجال فقط ؟

الإجابة : إن خدمة المذبح وأسرار الكنيسة ، هى القاصرة على الرجال ولكن توجد خدمة شمامسية للنساء ، خارج خدمة المذبح ، ولقب الشمامسات ، وعمل الشمامسات ، ورد كثيرا فى الدستورين (٢) ، وفى قوانين الرسل ، وفى قوانين الكنيسة وقوانين الآباء والكبار . النساء فى كنيستنا بعيدات عن ممارسة

الكهنوت (١) ، ولكن خدمة الكنيسة ليست عملاً كهنوتياً ، إنها خدمة فى أعمال ماله وإدارية ، يمكن أن تقوم بها المرأة والدسقولية ذكرت خدمة الشماسية فى الباب الرابع فقالت : « وشمامسة المرأة ، فلتكن جليلة عندكم » .

إذن عمل المرأة المصرح به فى الكنيسة هو العمل الإدارى والمالى والخدمة ، وليس العمل الروحى ، ويرجع ذلك لأنه لا يجب رفع صوت المرأة فى الكنيسة .

« (٣٤) لتصمت النساء فى الكنائس ، فليس مسموحاً لهن أن يتكلمن ، بل عليهن أن يكن خاضعات . . (٣٥) ولكن إذا رغبن فى تعلم شىء فليسالن أزواجهن فى البيت ، لأنه عار على المرأة أن تتكلم فى الجماعة » [١ كورنثوس ١٤ : ٣٤ ، ٣٥] .

كما لا يجب على المرأة تعليم الرجل : « (١٢) لست أسمح للمرأة أن تُعلم ولا تتسلط على الرجل ، بل عليها أن تلتزم السكوت » [١ تيموثاوس ٢ : ١٢] .

ولذلك عارض كثير من علماء المسيحية ما أفرزته مؤتمرات المرأة من مطالب وقوانين للمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة .